بلاغة التذييل في محكم التنزيل
سورة الجمعة أنموذجاً

*سميرة بنت محمد بن جالية

Abstract

The Holy Quran was revealed in eminent language i.e. Arabic. As narrated in Quran: "قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ." The Book encompasses different most eloquent aspect. These organization, of presentation, may be its words quality pather fluency and integration of language. All these eloquence dimensions are enlightened verses and surahs and are included in that. The stipulated Quranic Text are based and strengthened integration of these allied subjects in prose and cones in full zeal and zest. One of the guided example from quranic surah in summarized general rules in surah Jumma.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنامن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

كتاب الله تعالى نزل بأفصح لسان، وهو اللسان العربيقال تعالى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [1]، وقد بلغ الغاية في كل الوجوه البلاغية المتعلقة بلغته،سواء في أسلوبه ونظمه، أو ترتيبه واتساقه وانسجامه بين ألفاظه وآياته . ومن هذه الوجوه ما

(1) سورة الأنبياء، الآية 40.

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد كلية الآداب – قسم الدراسات الإسلامية جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

=

تضمنه من تذييل لآياته وسوره،هذا التذييل الذي يُعتبر من أعظم مظاهر انسجام النص القرآني وتماسك بنائه،وإحكام بنيانه، وتناسب أجزائه.
ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع الرغبة في إبراز هذا اللون البلاغي في القرآن الكريم و إظهار جانب من جوانب الإعجاز القرآني في بعض آياته. وقد اخترتُ سورة الجمعة أنموذجاً لاستنباط وجوه بلاغة التذييل، والوقف على لطائفه وحكمه.
والله أسأل أن يكتب له باب القبول وأن ينفع به.

وقد قسمت البحث إلى مبحثين وخاتمة:
المبحث الأول: الدراسة التأصيلية ويشتمل على عدة مطالب:
المطلب الأول : معنى التذييل .
المطلب الثاني : أقسام التذييل
المطلب الثالث : العلاقة بين التذييل والفاصلة
المطلب الرابع : العلاقة بين التذييل وبعض المصطلحات البلاغية المتقاربة.
المطلب الخامس : أهمية دراسة التذييل في القرآن الكريم.
المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية
من خلال سورة الجمعة، أبدء بذكر رقم الموضع ، وأتناول في كل موضوع النقاط التالية:

- المناسبة والمعنى الإجمالي وإن كان للآية سبب نزول ذكرته قبل المناسبة.
- جملة التذييل معناها ومناسبتها للسياق.
- بلاغة التذييل.
- الدروس المستقاة.

الخاتمة: تشتمل على أهم نتائج وتوصيات البحث.

=

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية

المطلب الأول : معنى التذييل

التَّذييلُ في اللغة :

أصله من الذَّيْلِ وهو:آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ ، ومنه طرفُ الثوبِ ، ورِدَاءٌ مُذَيَّلٌ: طَوِيلُ الذَّيْل وذَيْلُ المَرْأةِ ، وذالَتِ المرأة تَذيلُ، أي جرَّت ذيلَها على الأرض وتبخترتْ ، وتَذَيَّلَتِ الدَّابَّةُ : حَرَّكَتْ ذَنَبَها . وقد ذَيَّلَ ثَوْبَهُ تَذْيِيلاً ، ويقال ذيل كتابه أو كلامه أردفه بكلامٍ كالتتمة له وذيل في الكلام أي تبسط فيه على غير احتشام، وذَيلُ الكتاب ملحقه. [1]

التذييل في الاصطلاح:

هو أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوقالأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهمويكمل عند من فهمه [2]

وعرفه أبو هلال العسكري: " التذييل : هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتوكَّدُ عند من فهمه " [3] ، وفي سر الفصاحة التذييل هو: " العبارةُ عن المعنَى بألفاظٍ تزيدُ عليه "[4]

وعرفه صاحب تحرير التحبير بقوله: (هو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام) [5]

ويستنبط من التعريفات السابقة أن جملة التذييل في القرآن تأتي في ختام الآية بعد تمام المعنى للتأكيد والتوضيح.

المطلب الثاني: أقسام التذييل:

من حيث صورة وروده: مايرد في صورة المثل، ومايرد في غير صورة المثل

1- من حيث دلالته: ما يرد مؤكدا للمنطوق، وما يرد مؤكدا للمفهوم

فالتذييل قسمان: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق،وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله.

ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز متضمناً القسمين معاً قوله تعالى: {إن الله اشترىمن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداًعليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله } [1]

1- انظر: لسان العرب لابن منظور 11/ 260 ، ومختار الصحاح للرازي 1/ 226 ، و المصباح المنير للفيومي 213/1 ، وتاج العروس للزبيدي 7/ 321

3- انظر: البرهان في علوم القرآن ، للزركشي، 76/3، و الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 314/1

3- كتاب " الصناعتين " لأبي هلال العسكري الفصل الرابع عشر في التذييل ص 285.

5- سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ص 164 : 167

6- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع باب التذييل ص 387

ففي هذه الآية الكريمةتذييلان: أحدهما قوله تعالى: {وعداً عليه حقاً} ، فإن الكلام قد تم قبل ذلك، ثم أتسبحانه بتلك الجملة لتحقق ما قبلها، والآخر قوله سبحانه:{ومن أوفى بعهده من الله}، فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر لتحقيق ما تقدمه، فهو تذييل ثان للتذييل الأول ،وقد جاء في السنة من هذا الباب قوله ρ: (من هم بحسنة ولم يعملهاكتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه،فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك)[2][3]

المطلب الثالث: العلاقة بين التذييل والفاصلة

الفاصلة القرآنية:

قال الأزهري: (وأواخِرُ الآياتِ في كِتَابِ اللهِ فَوَاصِلُ، بِمَنْزِلَةِ قَوَافِي الشِّعر، واحِدَتُها فاصلةٌ)[4] . وقال ابن منظور: (الفواصلُ أواخرُ الآياتِ في كتابِ اللهِ)[5]

وعرف الزركشي الفاصلة :بأنها(كلمةُ آخرِ الآيةِ كقافيةِ الشعرِ وقرينةِ السجعِ)[6]وعُرفت بأنها(حروفٌ متشاكلةٌ في المقاطع ، يقعُ بها إفهامُ المعاني)[7]

وعرفها أبو عمرو الداني بأنها (كلمةُ آخِرِ الجملة " قال : " وأما الفاصلة : فهي الكلام التام المنفصل عما بعده ، والكلام التام قد يكون رأسَ آية وكذلك الفواصل ، يكنَّ رؤوسَ آيٍ وغيرها ، فكل رأس آيةٍ فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين) [8]

ومما سبق يتضح **الفارق بين الفاصلة والتذييل:**

الفاصلةآخرالآيةسواءكانتالآيةمكونةمنكلمةأوأكثر،أماالتذييلفهوالجملةالتيتختمبهاالآيةبعدتمامالآية؛فلاتخلوأيُّآيةمنفاصلةبينماقدتخلوالآيةمنجملةالتذييل،فلكلآيةفاصلة،وليسلكلآيةجملةتذييل

وتشارك الفاصلة التذييل في كونها متناسقة مع بداية الآيةومؤكدة لها

=

7- سورة التوبة ، آية 111

2- الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: ١٨٧ ،٣٢٣/١

3- تحرير التحبير ، 77/1

4- تهذيب اللغة ، 118/12

5- لسان العرب، 189/11

6- البرهان في علوم القرآن، 53/1

7- النكت في إعجاز القرآن، للرماني، صـ 97، إعجاز القرآن ، للقاضي أبي بكر الباقلاني، صـ 270

8- البيان في عد آي القرآن ، لأبي عمرو الداني ص 126 .

المطلب الرابع: العلاقة بين التذييل وبعض المصطلحات البلاغية المتقاربة

من المصطلحات البلاغية المتقاربة للتذييل: التعليل، الإيغال، ، والاحتراس، والاعتراض. ومن هنا أرى أنه لابد من عرض موجز لمعاني هذه المصطلحات البلاغية.

الفرق بين التذييل والتعليل

التعليل هو: (أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع، أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه،لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول، كقوله سبحانه: {لولا كتاب من الله سبق لمسكمفيما أخذتم عذاب عظيم}[1] فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب.[2]

والفرق بين التعليل والتذييل أن التذييل يكون في نهاية الجملة أو وسطها ، أماالتعليل فيكون في أولها تمهيدا لها أو آخرها تأكيدا عليها، وقد يشتركان في موطن واحدحيث يمكن حمل المعنى على التعليل أو التذييل ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِين}[3]، فقد ذكر الزركشي احتمال كونه من باب التعليل وقال أبو بكر القاضي إنه من التذييل[4]

الفرق بين التذييل والإيغال:

الإيغال في اللغة: الإمعان[5]، وفي الاصطلاح:(ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنىبدونها، وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ورد بأنه وقع في القرآن من ذلك {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ}[6]فقوله {وهم مهتدون} إيغال لأنه يتمالمعنى بدونه إذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسلوالترغيب فيه.

(الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق بها، وهو أيضاً مما يأتي بعد تمامالمعنى كالتكميل والتذييل،والإيغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم.[7](والتذييل أعم من الإيغال، من جهة أنه يكون في ختم الكلام وغيره، وأخص منجهة أن الإيغال قد يكون بغير الجملة، ولغير التأكيد)[8]

1- سورة الأنفال ، آية 68

2- تحريرالتحبير، لابن أبي الأصبع، 58/1

3- سورة القصص، آية 8

4- البرهان في علوم القرآن، 77/3

5- الصحاح في اللغة، 287/2

6- سورة يس، آية 21،20

7- تحرير التحبير، 77/1بتصرف كبير

8- مختصر المعاني، لسعد الدين التفتازاني،178،177 بتصرف يسير

الذي أراه أن الإيغال لونٌ من ألوان التذييل ، فهو الإتيان بجملة بعد تمام المعنى تؤكده أو تعلله أو تزيد في المعنى وإن تمَّ والتذييل كذلك جملة تأتي بعد تمام المعنى إمعانا في المعنى وإضافةً له .

الفرق بين التذييل والاحتراس

عرفه السيوطي بقوله: (أن يؤتى في كلام يوهمخلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}[1]فإنهلو اقتصر على{أذلة} أوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله: {أعزة}، ومثله: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[2]إذ لو اقتصر على {أشداء} لتوهم أنه لغلظهم)[3]

والفرق بين التذييل والاحتراس: أن التذييل يكون عن طريق المنطوق أو المفهوم ويكون بجملة ، والاحتراس يكون عن طريق المنطوق يكون بكلمة أو جملة. والاحتراس والتذييل يشتركان في موقعهما فقد يأتيان في وسط الكلام وآخره.والاحتراس يزيل أي شك حول المعنى، والتذييل يرسخ المعنى ويثبته.

بل الاحتراس من فنون التذييل وأسبابه فقد تأتي جملة التذييل – كما ذكرت آنفا – احتراسا ؛ لدفع ما قد يُتوهَّم ، والاحتراس قد يقع في وسط الكلام بينما التذييل لا يقع إلا في ختام الجملة .

الفرق بين التذييل والاعتراض

هو الإتيان بجملة أو أكثر لا محللها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الإيهام ، كقوله تعالى :{لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}[4]فجملة الاستثناء {إن شاء الله}اعتراض.

ومن وقوعه بأكثر من جملة قوله تعالى: {فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ}[5]فقوله: {نساؤكم} متصل بقوله: {فائتوهن}؛ لأنه بيان له وما بينهما اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الأدبار.[6]

الاعتراض يكون بجملة وبأقل من جملة ويأتي بعد تمام المعنى في آخر الكلام ووسطه، والتذييل يكون بجملة ويكون في آخر الكلام.

1- المائدة، آية 54

2- الفتح، آية 29

3- الإتقان، للسيوطي، 315/1

4- الفتح، آية 27

5- البقرة، آية 223،222

6- الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 316/1

المطلب الخامس: أهمية دراسة التذييل في القرآن الكريم:

- للتذييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف ، فالمعنى يزداد به انشراحاً، وتتضح به المقاصد وقد قال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع: الإشارة، والتذييل والمساواة، ويستعمل (التذييل) في مختلف المواطن والمواقف التي تجمع البطئ الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة والجيد الخاطر فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد، تأكد عند قوي الذهن، ووضح عند ضعيفه.

- تذييل الآيات القرآنية من السمات البلاغية في القرآن الكريم التي تعين على فهم المعنى واستنباط الأحكام قال الرماني: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حُسنَ إفهام المعاني)[1]

- كما أن التذييل يبرز الوحدة الموضوعية للقرآن ويبرز جانبا من جوانب إعجاز القرآن البلاغي قال الدكتور دراز رحمه الله:(لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات،وفي أساليب ترتيبه معجزات،وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات، لعمري أنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات)[2]

- ومن أهمية التذييل أن فيه ردًّاعلميًّا على أعداء الإسلام من الطاعنين في وحدة القرآن الكريم عموما وتناسب التذييل في القرآنِ على وجهِ الخُصُوصِ ، حيث أثاروا الشُّبَهَ حول ترتيبِ القرآنِ ، وزَعَمُوا أن آياتِ القُرْآنِ لا يجمعُهَا سياقٌ وليس بينها وفاقٌ ، وأوصوا بإعادةِ ترتيبِ القرآنِ وفقَ أسبابِ نزولِهِ تيسيرًا للقارئِ وإعانَةً له على فهمِ القرآنِ - على حسبِ زعمِهم - :ففي دائرة المعارف البريطانية : أن القرآن لا حكمة في ترتيبه ، واستدلوا على هذه الدعوى بالفواصل والتذييلات القرآنية حيث جاء فيها: " وكان القرآن يعطي للقارئ أنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية ويؤكد صحة ذلك طريقة ختم هذه الآيات، بآيات مثل: (إن الله عليم)، (إن الله حكيم)، (إن الله يعلم ما لا تعلمون)، وأن هذه

1- إعجاز القرآن للرماني، صـ 97

2 النبأ العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز، صـ 209

الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها، وأنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية ". [1]

ويرى الدكتور أحمد الشرقاوي: (إن التذييلات والفواصل القرآنية : مبنيَّةٌ أولا على مراعاةِ المعنَى ، وثانيا على اعتبار تناسب اللفظِ والنَّظم ، وإن كان مراعاةُ اللفظِ والنظمِ ليس مطَّردا ، ومرجعُ ذلك إلى أُمُورٍ منها : أن المعنَى هو الأَصلُ ، واللفظُ والنظمُ تابعٌ له . والتفنُّنُ والتنوُّعُ في الأساليبِ القرآنيةِ ، وهذا من سماتِ القرآن التي تفرَّد بها عن غيره ؛ ذلك أنه ليس بسجعٍ ولا شعرٍ ، كما أنه ليس كالكلام المرسل ، معاذ الله أن يشتبهَ كلامُه تعالى بكلام غيره . و الأسلوبُ القرآني سهلٌ يسيرٌ لا تكلُّف فيه) [2]

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

الموضع الأول :

قال تعالى:{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

ولماكانتتزكيتهلهممعأميتهموغباوتهملوصفالأميةفيالجهلأمراًباهراًفيدلالتهعلىتمامالقدرة،زا دفيالدلالةعلىذلكبإلحاقكثيرممنفيغيرهممنالأممثلهمفيالأميةبهم. قال:

{وآخرين}أيوبعثهفيآخرين{منهم}فيالأميةلافيالعربية{لمايلحقوابهم}أيفيوقتمنالأوقاتالماضـ يةفيصفةمنالصفات،بلهمأجلفالناسكعوامالمجوسواليهودوالنصارىوالبرابرونحوهممنطوائفا لعجمالذينهمألكنالناسلساناًوأجمدهمأذهاناًوأكثفهمطبعاًوشأناً،وسيلحقهماللهبهمفيالعلموالتزكيـ ة.ولماكانعدمإلحاقهمبهمفيالماضيربماأوهمشيئاًفيالقدرة،وإلحاقهمبهمفيالمستقبلفيغايةالدلالة علىالقدرة،قال:

{وهو}أيوالحالأنهوحده{العزيز}الذييقدرعلىكلشيءولايغلبهشيءفهويزكيمنيشاءويعلمهماأ رادمنأيّطائفةكان،ولوكانأجمدأهلتلكالطائفةلأنالأشياءكلهابيده{ال

---

[1] يراجع قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ، للدكتور فضل حسن عباس ص 79 – 93 ويراجع كتاب القرآن : نزوله ،وتدوينه وترجمته وتأثيره للمستشرق الفرنسي بلاشير– ترجمة رضا سعادة الفصل الأول ص 23 :44 وهو بعنوان المصحف بنيته وتكوينه ، و مذاهب التفسير الإسلامي ص 5 ، ويراجع الإسلام عقيدة وشريعة هامش 305 : 307 لجولدتسيهر ..

[2] لطائف التذييل في محكم التنزيل، صـ 17

حكيم
}فهوإذاأرادشيئاًموافقاًلشرعهوأمرهجعلهعلىأتقنالوجوهوأوثقهافلايستطاعنقضه،ومهماأراد هكيفكانفلابدمنإنفاذهفلايطلقردهبوجه،[1]
قال ابن حيان: "ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه وذكر ما أنعم به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعثته إليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم فصارت أمته غالبة سائر الأمم قاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم".[2]

المعنى الإجمالي:

وقوله : {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم}
قد اختلف في الذين عُنوا بقوله: (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ) ، فقال بعضهم: عُنِي بذلك العجم.عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : كنا جلوسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزلت عليه سورة الجمعة : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا ، وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده على سلمان ثم قال : " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو : رجل - من هؤلاء.
وقال آخرون: إنما عُنِي بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كائنًا من كان إلى يوم القيامة".قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالا ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب " ثم قرأ : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) يعني : بقية من بقي من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم .
"وأولى القولين عندي في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كلّ لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في إسلامهم من أيّ الأجناس؛ لأن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) كلَّ لاحق بهم من آخرين، ولم يخصص منهم نوعًا دون نوع، فكلّ لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأوّلين الذين كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يتلو عليهم آيات الله. وقوله: (لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يقول: لم يجيئوا بعد وسيجيئون.[3]

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، 53/20
[2] البحر المحيط، (8/ 265)
[3] جامع البيان ، للطبري 12/ صـ 90،91، ابن كثير ، 4/ 364،365

قال صاحب الكشاف : وقوله : (وَآخَرِينَ) مجرور عطف على الأميين يعنى : أنه بعثه فى الأميين الذين على عهده ، وفى آخرين من الأميين الذين لم يلحقوا بهم بعد ، وسيلحقون بهم ، وهم الذين بعد الصحابة .[1]

جملة التذييل معناها ومناسبتها للسياق:

قوله تعالى: {وهو العزيز الحكيم}

مناسبة التذييل:

إرسال الرسول يحتاج إلى عزة وغلبة والحكمة متمثلة في أن هذا الرسول يكون من ضمن هؤلاء القوم أمي مثلهم وهذا الأمر لا يفعله إلا عزيز لا يغلب وحكيم يضع الأمور في نصابها.

فالعزيز الحكيم تذييل للتعجيب من هذا التقدير الإلهي لانتشار هذا الدين في جميع الأمم فإن العزيز لا يغلب قدرته شيء والحكيم تأتي أفعاله عن قدر محكم [2]

وسر تكرار هذان الاسمان الجليلان : {يُسَبِّحُلِلَّهِمَافِيالسَّماوَاتِوَمَافِيالْأَرْضِالْمَلِكِالْقُدُّوسِ**الْعَزِيزِالْحَكِيمِ**} ، {وهو **العزيز الحكيم**}.

أن التسبيح بمعنى التنزيه والتعظيم ولا يستحقه إلا إلهملك قدوس غالبٌ وقاهر وحكيم يتصرف بدقة وحكمة متناهية.لذلك قال العزيز الحكيم. فذكر العزيز بمناسبة المباهلة التي يدعى إليها اليهود والموت الذي لابد أن يلاقي الناس جميعاً والرجعة إليه والحساب.وذكر الحكيم بمناسبة اختياره الأميين ليبعث فيهم رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

وقوله {وهو **العزيز الحكيم**}. فهو عزيز غالب لايقهر يفعل مايشاء فأرسل إلى القوم رسول أمي لا يقرأ ولا يكتب ومن الحكمة أن يكون أمي كالعرب الذي بعث فيه.

معنى جملة التذييل:

{وَهُوَ العزيز الحكيم} تذييل المقصود به بيان أن قدرته تعالى لا يعجزها شىء ، وأن حكمته هي أسمى الحكم وأسدها . أي : وهو سبحانه العزيز الذى لا يغلب قدرته شىء ، الحكيم فيما يريده ويقدره ويوجده .

قال ابن كثير: : ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره .[3]

{العزيز} الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه. و {العزيز}في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه.[4] وهو الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا

---

[1] الكشاف، للزمخشري، 4/ 530

[2] التحرير والتنوير، لابن عاشور، 212/13

[3] تفسير ابن كثير ، 4/ 364،365

[4] جامع البيان، (9/7) ، (36/28)

ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه.[1]وهو العزيز المنيع الذي لا ينال ولا يغالب.[2]

فالعزيز الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، دانت له الخليقة وخضعت لعظمته.[3]

وهو العزيزُ فلن يُرامَ جنـابُه ** أنَّي يُرامُ جنابُ ذي السلطانِ

وهو العزيزُ القاهرُ الغلَّابُ لم ** يغـلِبْه شيءٌ هـذه صـفتان

وهو العزيز بقوة هي وصـفُهُ ** فالـعِزُّ حينئذٍ ثـلاثُ معان[4]

و(الحكيم) الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل. قال في موضع: حكيم فيما قضى بين عباده من قضاياه.[5]

وقال الحليمي: (الحكيم) ومعناه الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير.[6]

وسر اقتران العزيز مع الحكيم في الآية:أن العزيز الذي ينفذ أمره سواء قبلته نفوس البشر أو لا لأن في أوامره ونواهيه وأحكامه حكمة يقدرها الله وهو العليم بمواضع الاختيار فيضع الشيء موضعه المناسب اللائق به. عند قراءة القرآن الكريم, أنك تجد بعض الأحكام التي ربما تكرهها بعض النفوس لجهلها بالله سبحانه و تعالى, فيختمها الله باقتران الاسمين العزيز الحكيم مثل قوله سبحانه و تعالى: ((وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [7]

قال ابن قيم: "الحكمةُ منْ صفاتِهِ العُلَى، والشريعةُ الصادرةُ عنْ أمرِهِ مَبْنَاهَا على الحكمةِ، والرسولُ المبعوثُ بها مبعوثاً بالكتابِ والحكمةِ, فَكَمَا لا يَخْرُجُ مَقْدُورٌ عنْ علمِهِ وقُدْرتِهِ ومشيئتِهِ، فهكذا لا يَخْرُجُ عنْ حكمتِهِ وحمدِهِ"[8]

بلاغة التذييل:

- التناسب بين الاسميين الجليلين العزيز الحكيم لذا يكثر اقترانهما في القرآن.

---

[1]تفسير ابن كثير، (343/4) ، (457/3)

[2]الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (131/2) ، فتح القدير، للشوكاني (208/5)

[3]تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (5/ 300- 301)

[4]النونية ، للقحطاني (218/2)

[5]جامع البيان ، للطبري (436/1) ، (363/2)

[6]المنهاج ، (191/1)

[7]سورة البقرة، آية 228

[8]طريق الهجرتين وباب السعادتين ، صـ ؟؟؟؟

- تقديم العزيز على الحكيم مراعاة للفاصلة، لأن العزة متعلقة بالفعل والحكمة بمثابة التعليل لهذا الفعل فقدم الفعل على حكمته، وكذلك لفصاحةً في التركيب لذا لم يرد في القرآن: الحكيم العزيز.

- تعريف طرفي الجملة المبتدأ والخبر، المسند والمسند إليه: لإفادة الحصر فلا عزة إلا عزته ولا عزة إلا به ومنه ولا حكمة إلا حكمته.

- صيغة فعيل تدل على المبالغة فأسماء الله تعالى وصفاته العلى هي الغاية في بابها والكمال المطلق في معانيها لذا لا ترد إلا على صيغ المبالغة .

- اسمية الجملة تفيد التأكيد والثبات فعزته تعالى وحكمته ثابتة مؤكدة.

الدروس المستقاة:

- دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ستبلغ غير المعاصرين له وأنهم سيتبعونها ، ويؤمنون بها ، ويدافعون عنها . فقد دخل الناس في دين الله أفواجا من العرب ومن غير العرب .فهذه الأمة موصولة الحلقات ممتدة في شعاب الأرض وفي شعاب الزمان تحمل هذه الأمانة الكبرى.

- تظهر الآية نوعا من أنواع الإعجازفي القرآن الكريم ، ألا وهو الإخبار عن أمور مستقبلة أيدها الواقع المشاهد .

- صفات الله سبحانه وتعالى الواردة في الآية لها علاقة قوية بموضوع السورة (الملك) الذي يملك كل شي بمناسبة التجارة التي يسارعون إليها بمناسبة الكسب، وذكر (القدوس) الذي يتقدس ويتنزه ويُتوجه إليه بالتقديس والتنزيه كل ما في السموات والأرض بمناسبة اللهو الذي ينصرفون إليه عن ذكره.

- أن هذه الآية الكريمة صريحة في أن الله تعالى قد استجاب دعوة نبيه ابراهيم عليه السلام حينما دعا الله في قوله: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.) [1]

- أن محمد صلى الله عليه وسلم بُعِث أمياً في أمةً أمية لم يقرأ كتاباً ، ولا خطه بيمينه ومع ذلك أتى بهذا القرآن الذي ما سمعوا بمثله وهذا برهان صدقه.

---

[1] سورة البقرة ، آية 129

الموضع الثاني :

قال تعالى:{ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو **الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**}

المناسبة و المعنى الإجمالي :

مناسبة التذييل:

ولما كان هذا أمراً باهراً، عظمه بقوله على وجه الاستثمار من قدرته: {ذلك} أي الأمر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد أن كان العرب أتباعاً لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف {فضل الله} أي الذي له جميع صفات الكمال، والفضل ما لم يكن مستحقاً بخلاف الفرض {يؤتيه من يشاء} بحوله وقوته بأن يهيئه له ولو كان أبعد الناس منه {والله} أي الملك الأعظم {ذو الفضل} ولما كانت «آل» دالة على الكمال دل على ذلك بقوله: {العظيم} أي الذي يحقر دونه كل عطاء من غيره.[1]

المعنى الاجمالي:

ومعنى الآية أنه من كرمه تعالى على عباده ، أنه اختص رسوله محمدا ρبرسالة جامعة لكل خير وبركة ، لدعوة الناس إلى اتباع الصراط المستقيم ، واختيار الله هذا فضلٌ لا يعدله فضل ، هو فضلٌ عظيم يربى على كل ما يبذله المؤمن من نفسه وماله وحياته.

وقوله: {ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الأميين من العرب، وفي آخرين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويفعل سائر ما وصف، فضل الله، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم، يؤتيه من يشاء، يقول: يؤتي فضلَه ذلك من يشاء من خلقه، لا يستحقّ الذمّ ممن حرمه الله إياه، لأنه لم يمنعه حقًا كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه إلى غيره، ولكنه على مَنْ هُو له أهل، فأودعه إياه، وجعله عنده.[2]

الإشارة في الآية إلى جميع المذكورِ من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة والإنقاذ من الضلال ومن إفاضة هذه الكمالات على الأميين الذين لم تكن لهم سابقة علم ولا كتاب ، ومن لحاق أمم آخرين في هذا الخبر فزال اختصاص اليهود بالكتاب والشريعة ، وهذا أجدع لأنفهم إذ حالوا أن يجيء رسول أمي

---

[1] نظم الدرر، للبقاعي ، (54/20)

[2] جامع البيان، للطبري، (91/12)

بشريعة إلى أمة أمية فضلاً عن أن نلتحق بأمية أمم عظيمة كانوا أمكن في المعارف والسلطان .[1]

جملة التذييل ومناسبتها للسياق:

{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}ذُكر الفضلُ مضافاً إلى الله والله من صفاته العظمة والعظيم لابد أن يكون فضله عظيم.

قال الشوكاني: (الذي لا يساويه فضل ولا يدانيه) [2]

وقال ابن كثير: (يعني ما أعطاه الله محمداً ρمن النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعتهρإليهم).[3]

وذلك من فضله العظيم الذي يؤتيه من يشاء من عباده وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق وغير ذلك من النعم الدنيوية فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز والسعادة الأبدية[4]

بلاغة التذييل:

- التعبير بالاسم الظاهر في موضع الإضمار : لما فيه من المهابة والجلالة والروعةكذلك لتبقى هذه الجملة مستقلة تصلح للاقتباس.

- التعبير بـ {ذو الفضل}ولم يقل المتفضل لما فيه من فصاحة المفردة والتركيبولوصف هذا الفضل بالعِظم.

- {العظيم} لبيان عظمة هذا الفعل حتى نستشعر عظمة هذه الرسالة وجلالتها مما يحملنا على الجد والعزم في الامتثال لها، وأن نحرص على توصيل هذا الخير العميم والفضل العظيم لغيرنا ، فضلاً عن رعاية الفاصلة.

دروس مستقاة :

---

[1] التحرير والتنوير ، ابن عاشور (213/13)

[2] فتح القدير ، (225/5)

[3] تفسير ابن كثير ، (365/4)

[4] تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، 218/5

- فضل الله، يؤتيه من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم، الذي يسع فضله الناس جميعاً، وأنه إذا أصاب فضله قوماً، فليس بالمحجوز عن غيرهم.
- اختيار الله للرسول صلى الله عليه وسلم لحمل هذه الأمانة الكبرى فضلٌ عظيم.
- نعماللهلاتعدولاتحصى،والإنسانفيهذهالدنيايتقلبفينعماللهسبحانه ومن أعظم هذه النعم تفضله تعالى علينا بأن جعلنامنأمةمحمدصلىاللهعليهوسلم.
- نعم وأفضال الله تعالى تدوم بالشكر قال تعالى : {وَقَالَرَبِّأَوْزِعْنِيأَنْأَشْكُرَنِعْمَتَكَالَّتِيأَنْعَمْتَعَلَيَّوَعَلَىٰوَالِدَيَّوَأَنْأَعْمَلَصَالِحًاتَرْضَاهُوَأَدْخِلْنِيبِرَحْمَتِكَفِيعِبَادِكَالصَّالِحِينَ}[1]
- في الآية رد على اليهود الحساد على غرار قوله تعالى : {أَمْيَحْسُدُونَالنَّاسَعَلَىٰمَاآتَاهُمُاللَّهُمِنفَضْلِهِ}[2]

الموضع الثالث:

قال تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}

المناسبة والمعنى الإجمالي:

المناسبة:

أعلم الله تعالى بحال طائفة لاح لهم نور الهدى ووضح لها سبيل الحق فعميت عن ذلك وارتبكت في ظلمات جهلها ولم تزدد بما حملت إلا حيرة وضلالة فقال تعالى: {مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً} وهي في معرض التنبيه لمن تقدم الثناء عليه ورحمه الله إياه لئلا يكونوا فيما يتلو عليهم نبيهم من الآيات ويعلمهم من الكتاب والحكمة مثل أولئك الممتحنين، فإنهم مقتوا ولعنوا بعد حملهم التوراة، وزعموا أنهم التزموا حمله والوفاء به فوعظ هؤلاء بمثالهم لطفاً من الله.[3]

وبعد أن تبين أنه تعالى آتى فضله قوماً أميين أعقبه بأنه قد آتى فضله أهل الكتاب فلم ينتفع به هؤلاء الذين قد اقتنعوا من العلم بأن يحملوا التوراة دون فهم وهم يحسبون أن ادخار أسفار التوراة وانتقالها من بيت إلى بيت كافٍ في التبجح بها وتحقير من لم تكن

---

[1] سورة النمل ، آية 19

[2] سورة النساء ، آية 54

[3] نظم الدرر للبقاعي، 48/20

التوراة بأيديهم ، فالمراد اليهود الذين قاوموا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وظاهروا المشركين [1]

المعنى الإجمالي:

لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، وما خصهم الله به من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأمية الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون والأحبار المتقدمون، ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود وكذا النصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها ، وانهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم.بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا وصدق ما جاء به.[2]

فاليهود الذين حملوا التوراة قبلوا حملها ولكنهم خانوا هذه الأمانة وتركوها ولم يعملوا بما فيها فهذه الخيانة بمثابة الظلم لأنهم لم يعملوا بما حُمِلوا ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه . فهم لن يتحقق لهم فلاح ولا هدى لأنهم ظالمين.

ضرب الله المثل لمن حُمِّلَ التوراة فتلاها ليلا ونهارا ، دون أن ينتفع بها ، بالحمار الذي يحمل الأسفار ، لا يعرف قيمةَ ما يحملُهُ ، وهذا حالُ كثيرٍ من اليهود ، مثل الحمار أثقلت الأسفارُ ظهرَه ، فلم ينل إلا الجَهد والعناءَ ، وفي التشبيه بالحمارِ ما يُوحي ببلادة طباعِهم ، وهوانهم ، ذاك أن العرب يضربون المثل في الهوان والبلادةِ بالحمير ، قال الشاعرُ :

إن الهوانَ حمارُ الأهلِ يعرِفُهُ ... والحرُّ ينكِرُهُ والرَّسْلَةُ الأَجُدُ

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُسَامُ بِهِ إِلَّا الْأَذَلَّانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ[3]

ويُضربُ المثلُ بالحمارِ في الثِّقَلِ والبَلادَةِ ، قال أميرُ الشعراء :

سَقط الحِمارُ منَ السَّفينةِ ِ في الدُّجَىفبكى الرِّفاقُ لِفَقدِهِ، وتَرَحَّمُوا

---

[1] التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، 213/13

[2] تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، 239/5

3- (ديوان المتلمس: 196) يُقالُ : سامَهُ خَسْفاً ويُضَمُّ : إذا أَوْلاهُ ذُلاًّ وأن تَحْبِسَ الدابَّةَ بِلا عَلَفٍ . القاموس المحيط مادة (خ س ف) .والرَّسلة: الناقة الذلول القوية المؤثَّقة الخلْق ، وناقَةٌ أُجُدٌ : وهي التي فَقَارُ ظَهْرِها مُتَّصِلٌ كأنَّه عَظْمٌ واحِدٌ . النهاية في غريب الأثر – (1 / 39) ، والمحيط في اللغة (7 / 158) .

حتى إذا طلعَ النهارُ أتت بهنحوَ السفينةِ موجةٌتتقدمُ
قالتْ: خُذُوهُ كما أتانِي سَالِمًا لم أبتلعْهُ، لأنه لا يُهْضَمُ![1]
ويضرب المثل به في الجهل ، قال الشاعر :
قال حمارُ الحكيمِ تُوما . . . لو أنصفُوني لكنتُ أركبُ
لأنني جاهلٌ بسيطٌ . . . وصاحبي جاهلٌ مركّبُ [2]

قال الزمخشري : " شبَّه اليهودَ في أنهم حملةُ التوراةِ وقرَّاؤُها وحُفَّاظُ ما فيها ، ثم إنَّهم غيرُ عاملينَ بها ولا منتفعينَ بآياتِها ، وذلك أنَّ فيها نعتَ رسولِ اللهِρ والبشارةَ بِهِ، ولم يؤمنُوا بِهِ بالحمارِ حَمَلَ أَسْفَاراً ، أَي كُتُباً كِبَاراً من كتبِ العلمِ ، فهو يمشِي بها ولا يدري منها إلا ما يمرُّ بجنبيهِ وظهرِهِ من الكَدِّ والتعبِ، وكلُّ من عَلِمَ ولم يعملْ بعلمِه فهذا مَثَلُهُ " [3]
.

وقال أبو حيَّان : " هم اليهودُ المعاصرون للرسول ρ، كُلِّفُوا القيامَ بأوامِرِهَا ونواهِيهَا ، ولم يُطِيقُوا القيامَ بها حين كذَّبُوا الرسولَ ρ ، وهي ناطقةٌ بنبوَّتِهِ " [4].

وقال ابنُ كثيرٍ : " يَقُول تَعَالَى ذَامًّا لِلْيَهُودِ الَّذِينَ أُعْطُوا التَّوْرَاة وَحُمِّلُوهَا لِلْعَمَلِ بِهَا ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا ، مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ الْحِمَار يَحْمِل أَسْفَارًا ، أَيْ كَمَثَلِ الْحِمَار إِذَا حَمَلَ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا فَهُوَ يَحْمِلهَا حَمْلًا حِسِّيًّا ، وَلَا يَدْرِي مَا عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ فِي حَمْلِهِمْ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتُوهُ حَفِظُوهُ لَفْظًا وَلَمْ يَتَفَهَّمُوهُ وَلَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ ، بَلْ أَوَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ ،فَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْحَمِير ؛ لِأَنَّ الْحِمَار لَا فَهْمَ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ فُهُومٌ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا ." [5]

وقال ابن القيم : " ومِن جهلِهم أناللهَ سبحانه شبَّهَهُم في حملِهمالتوراةَوعدمِ الفقهِ فيهاوالعملِ بها بالحمارِ يحملُ أسفاراً ، وفي هذا التشبيهِ من الدَّلالةِ على جهالتِهِم وجوهٌمُتَعَدِّدَةٌ:

منها أن الحمار من أبلد الحيوانات التي يُضْرَبُ بها المثلُ فيالبلادة.

1- تفسير القرآن الحكيم " المنار " (4 / 230) .

2- ذكره النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (10 / 61) ولم ينسبه ولم أعثر عليه في غيره من كتب الأدب .

3- الكشاف (4 / 531) ، ويراجع معالم التنزيل للبغوي (5 / 83) .

4- البحر المحيط (8 / 200)

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (13 / 556) .

ومنها أنه لو حمل غير الأسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعوربخلاف الأسفار.

ومنها أنهم حملوها لا أنهم حملوها طوعاً واختياراً ، بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لم يرفعوا به رأساً .

ومنها أنهم حيث حملوهاتكليفاً وقهراًلم يرضوا بهاولم يحملوها رضا واختياراً ، وقد علموا أنهم لا بد لهم منها ، وأنهم إنحملوها اختياراً كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة.

ومنها أنها مشتملةٌ علىمصالح معاشِهم ومعادِهم وسعادتِهم في الدنيا والآخرة ، فإعراضُهم عن التزام ما فيهسعادتهم وفلاحهم إلى ضدِّه من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطانة" [1]

عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍτ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ρشَيْئًا، فَقَالَ: " وَذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ " قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ: " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ لَبِيدٍ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا فِيهِمَا بِشَيْءٍ ؟ "[2]

1- هداية الحيارى لابن القيم (1 / 191) .

2- حديث صحيح : أخرجه الترمذي في السنن (4 / 328) وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ ، وَلاَ نَعْلَمُ أَحَدًا تَكَلَّمَ فِيهِ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ القَطَّانِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، نَحْوُ هَذَا وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ε ، و أخرجه أحمد في المسند (29 / 443) ، بإسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيِّه فلم يروله سوى ابن ماجه. وسالم بن أبي الجعد قال فيه البخاري في "التاريخ الكبير" 344/3: لا أُراه سمع من زياد، وجزم الحافظ ابن حجر في "الإصابة" 587/2 بأنه لم يَلْقَه ، وأخرجه المزي فى ترجمةَ زياد من "تهذيب الكمال" 508/9 من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد ، وأخرجه ابن أبي شيبة 536/10-537، والبخاري في "التاريخ الكبير" 344/3، وابن ماجه (4048) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (1999) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (305) ، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (5291) من طريق وكيع، بهذا الإسناد ، وأخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب في "العلم" (52) ، ، وأخرجه الحاكم 100/1 من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد. وزياد بن لَبِيد أنصاري بياضيٌ، شهد العقبة وبَدْراً، وكان عامل النبي ε على حضرموت، وولاّه أبو بكر قتال أهل الرِّدة من كِنْدَة

جملة التذييل ومناسبتها للسياق:

وجملة {والله لا يهدي القوم الظالمين}تذييل إخباراً عنهم بأن سوء حالهم لا يرجى لهم منه انفكاك لأن الله حرمهم اللطف والعناية بإنقاذهم لظلمهم بالاعتداء على الرسول صلى الله عليه وسلم بالتكذيب دون نظر ، وعلى آيات الله بالجحد دون تدبر .[1]

فالله تعالى لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما دام الظلم لهم وصفًا، والعناد لهم نعتًا ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس.[2]

قال الطبري: والله لا يوفِّق القوم الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بآيات ربهم.[3]

بلاغة التذييل:

•جاءالتعبيرالقرآني{والله لا يهدي القوم الظالمين}ولميقلواللهلايهديهملإفادةالعمومفيكلمنظلمفهومحروممنهدايةالله،فجاءتعلىالعموم ويدخلفيهماليهوددخولاًأولياً.

•ولبيانأنماوقعوافيهمنهجرالعملبالتوراةوكذَّببآياتاللهمنالظلمبلمنأشنعه

•وفيهتعريضلكلمنهجرالعملبكلامااللهتعالىمنأمةمحمدρ

•والتعبيربالاسمالظاهرمعتقدمهليخرجالتذييلعلىصورةالمثلوالاقتباسالمستقل .

•وفيهمنالهيبةوالجلالمايزجركلظالمٍ،ويسلِّيكلمظلوم .

الدروس المستفادة:

- {والله لا يهدي القوم الظالمين}تذييل قصد به بيان الأسباب التى أدت إلى عدم توفيق الله - تعالى - لهم إلى الهداية .

- اقتضت حكمته ، أن لا يهدى إلى طريق الخير ، من ظلم نفسه ، بأن آثر الغى على الرشد ، والعمى على الهدى ، والشقاوة على السعادة لسوء استعداه ، وإنطماس بصيرته .

- من حكم ضرب مثل الذي لا ينتفع بما أوتي بالحمار يحمل أسفاراً للتنبيه على أن لا يكون حظُّ الخطيب والمأموم من خطبة الجمعة كحظهما قبلها.

---

[1] التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، 214/13

[2] تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، 239/5

[3] جامع البيان ، 93/12

- اشتمال الآية على توبيخ اليهود وذمهم لعدم عملهم بالكتاب الذي أنزله سبحانه لهدايتهم وإصلاح حالهم.
- ينبغي لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ; لئلا يلحقه من الذم ما لحق اليهود.

الموضع الرابع:

قال تعالى : {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**}

المناسبة والمعنى الإجمالي:

لما زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداُ أو نصارى دُعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم، أو من المسلمين، فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون;لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا علُم كذبهم.[1]

ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم أي أسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ; فلو تمنوه لماتوا ; فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية . وفي حديث أن النبي ρقال لما نزلت هذه الآية : " والذي نفس محمد بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات " . وفي هذا إخبار عن الغيب ، ومعجزة للنبي ρ. وقد مضى معنى هذه الآية في " البقرة " في قوله تعالى - : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين .[2]

جملة التذييل ومناسبتها للسياق:

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)يقول: والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه، فأوبقها بكفره بالله[3]

قال أبو السعود : وفي "جملة (والله عليم بالظالمين) أي بهم وإيثار الاظهار على الإضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الأمور التي من جملتها إدعاء ما هم عنه بمعزل " "والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر" . فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنهم قوله تعالى : قل ان الموت الذي تفرون منه) فإن ذلك إنما يقال

---

[1] تفسير ابن كثير ، 365/4

[2] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 85/18

[3] جامع البيان ، للطبري، 93/12

لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه الصلاة والسلام: (لو تمنو لماتو من ساعته)هذه إحدى المعجزات. [1]

عليم بأحوالهم وبأحوال أمثالهم من الظالمين فشمل لفظ الظالمين اليهود فإنهم من الظالمين . وقد تقدم معنى ظلمهم في الآية قبلها . وقد وصف اليهود بالظالمين في آيات كثيرة ، وتقدم عند قوله تعالى : { ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله }[2] والمقصود أن إحجامهم عن تمنّي الموت لما في نفوسهم من خوف العقاب على ما فعلوه في الدنيا ، فكني بعلم الله بأحوالهم عن عدم انفلاتهم من الجزاء عليها ففي هذا وعيد لهم .[3]

والصلة بين {والله لا يهدي القوم الظالمين}و {والله عَلِيمٌ بالظالمين}أن الله تعالى ينعتهم بهذا النعت وهو كونهم ظالمين لأنه عليمعلماً تاماً بأحوال هؤلاء الظالمين ، وسيعاقبهم العقاب الذى يتناسب مع ظلمهم وبغيهم . فالمراد من العلم ومتعلقه ، وهو الحسابوالجزاء. لذلك لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما دام الظلم لهم وصفًا، والعناد لهم نعتًا ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس.[4]

بلاغة التذييل:

- اسمية الجملة تفيد التأكيد والثبات فعلم الله ثابتٌ مؤكد.
- صيغة المبالغة تدل على سعة علمه تعالى فهو يعلم أنهم لن يتمنون الموت أبداً.
- وأجابالرازيعنالفرقبينالآيتينبنحوآخر،فقال: إنهتعالىقالفيآيةسورةالبقرة: {ولنيتمنوهأبدا} وقالفيآيةسورةالجمعة: {ولايتمنونهأبدا} أنهمفيآيةالبقرة،ادعواأنالدارالآخرةخالصةلهممندونالناس،وادعوافيسورةالجمعةأنهمأولياءللهمندونالناس،واللهتعالىأبطلهذينالأمرين،بأنهلوكانكذلكلوجبأنيتمنواالموت،والدعوىالأولىأعظممنالثانية؛إذالسعادةالقصوىهيالحصولفيدارالثواب،وأمامرتبةالولايةفهيوإنكانتشريفةإلاأنهاإنماترادليتوسلبهاإلىالجنة،فلماكانتالدعوةالأولىأعظم، لاجرمبيَّنتعالىفسادقولهمبلفظ (لن)؛لأنهأقوىالألفاظالنافية،ولماكانتالدعوىالثانيةليستفيغايةالعظمة،لاجرماكتفىفيإبطالهابلفظ (لا)؛لأنهليسفينهايةالقوةفيإفادةمعنىالنفي.(دكتور أريد اضافة هذه المعلومة وأريد رايك وهل النفي هنا بلا أكد وأعظم أم بلن؟)

---

[1] تفسير أبي السعود ، 249/9

[2] سورة البقرة ، آية 140

[3] التحرير والتنوير ، لابن عاشور، 13/ 217، 218

[4] تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، 239/5

الدروس المستقاة:

- أن الآية تقرر حقيقة الموت وأنه حتمٌ لا مهرب منه وما بعده من رجعة إلى الله وحساب على العمل حتمٌ كذلك لاريب فيه.
- في الآية دلالة على إحدى المعجزات حيث أن اليهود علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما أستطاع أحد منهم أن يتمنى.
- تأصل صفة الكذب والمكابرة في نفوس اليهود كما في قوله تعالى : (وجَحَدُوابِهَاوَاسْتَيْقَنَتْهَاأَنفُسُهُمْظُلْمًاوَعُلُوًّا فَانظُرْكَيْفَكَانَعَاقِبَةُالْمُفْسِدِينَ) .[1]
- الحياة الدنيا ليست نهاية المطاف وعلى المسلم أن يقدم العمل الصالح .

الموضع الخامس:

{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ **وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**}

سبب النزول:

عن جابر بن عبد الله قال : (بينما نحن نصلّي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم الجمعة إذْ أقبلتْ عير من الشام تحمل طعاماً فانفتل الناس إليها حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم) . وفي رواية : وفيهم أبو بكر وعمر ، فأنزل الله فيهم هذه الآية التي في الجمعة { وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً }.

وفي رواية عنجابربنعبدالله،قالكانالجواريإذانكحواكانوايمرّونبالكبروالمزاميرويتركونالنبيّصَلَّىاللهعَلَيْهِ وَسَلَّمقائمًاعلىالمنبر،وينفضونإليها،فأنـزلالله{ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً }. وروي أن العِير نزلت بموضع يقال له : أحجار الزيت فتوهم الراوي فقال : بتجارة الزيت ..[2]

المناسبة و المعنى الإجمالي:

---

[1] سورة النمل ، آية 14

[2] تفسير ابن كثير، 368/4

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى : { وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً }وقوله : { أو لهواً } فيه للتقسيم ، أي منهم من انفضّ لأجل التجارة ، ومنهم من انفضّ لأجل اللهو ، وتأنيث الضمير في قوله : { إليها } تغليب للفظ (تجارة) لأن التجارة كانت الداعي الأقوى لانفضاضهم .

وجملة { وتركوك قائماً } تفظيع لفعلهم إذ فرطوا في سماع وعظ النبي صلى الله عليه وسلم أي تركوك قائماً على المنبر . وذلك في خطبة الجمعة ، والظاهر أنها جملة حالية ، أي تركوك في حال الموعظة والإرشاد فأضاعوا علماً عظيماً بانفضاضهم إلى التجارة واللهو .

وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعظهم بأن ما عند الله من الثواب على حضور الجمعة خير من فائدة التجارة ولذة اللهو . وكذلك ما أعد الله من الرزق للذين يؤثرون طاعة الله على ما يشغل عنها من وسائل الارتزاق جزاء لهم على إيثارهم جزاء في الدنيا قبل جزاء الآخرة ، فرب رزق لم ينتفع به الحريص عليه وإن كان كثيراً ، وربّ رزق قليل ينتفع به صاحبه ويعود عليه بصلاح ، قال تعالى : { من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون }[1].

وقال حكاية عن خطاب نوح قومه { فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً }.[2][3]

جملة التذييل ومناسبتها للسياق: {وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}

التجارة فيها رزق في المكسب والمغنم، واللهو أيضاً فيه رزق فمن ترك هذا اللهو والتجارة ليحضر الصلاة خلف الإمام فإن الله سيرزقه رزقٌ خير من هذا الرزق لأنه خير الرازقين. فهنا علاقة بين الذيل والمقصد حيث أن المقصد ينفي فيه الله تعالى على من انصرف عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب على المنبر . والذيل يبين أن من ترك اللهو والتجارة فإن الله سيخلفه لأنه خير الرازقين فلا يوجد أحد يرزق أفضل من الله تعالى.

{وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} تذييللأناللهيرزقالرزقلمنيرضىعنهسليماًمنالأكداروالآثام،ولأنهيرزقخيرالدنياوخي

---

[1] سورة النحل ، آية 97

[2] سورة نوح ، آية 10- 12

[3] انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور ، 230/228/13، تفسير ابن كثير ، 368/4، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي،99/12

رالآخرة،وليسغيراللهقادراًعلىذلك،والناسفيهذاالمقامدرجاتلايعلمهاإلااللهوهوالعالمبالسرائر [1].

{**وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**}أي : لمنتوكلعليه،وطلبالرزق في وقته. [2]فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره[3]

(خير) بمعنى أخير يعني أنه لا يوجد أحد يرزق أفضل من الله فهو تعالى يعطي بدون حساب ولا يطلب مقابل لهذا الرزق وفي الحديث : (يا بني آدم إن لي عليك فريضة ولك علي رزق فإن خالفتني في فريضتي لا أخالفك في رزقي) [4] فالله يرزق المؤمن والكفار لا يطلب أجراً ولا يمن على خلقه فتذييل الآية بقوله {**وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**}يؤكد للمسلم – الذي يترك الدنيا من أجل الله- أن الله لن يبخسه حقه ولن يخسر أبداً حتى وإن ترك محاله وتجارته وقت الصلاة.

بلاغة التذييل:

- اسمية الجملة تفيد التأكيد فالله خير الرازقين على الدوام والثبات.
- (خير) تأتي بمعنى (أفعل) التفضيل
- إعادة حرف الجر (من) للتأكيد {مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ}
- في الآية لف ونشر حيث ذكر طرفان ثم رد لهما طرفان آخران حيث ذكر التجارة واللهو ثم اللهو والتجارة وهما لف ونشر غير مرتب.
- الفواصل تنتهي بحرف المد زائدا ميم أو نون ، فحرف المد من أبعد المخارج وحرف الميم والنون من أقرب المخارج فكأنه استغرق جهاز النطق من أوله وأخره .

الدروس المستقاة:

- ينبغي على العبد وقت العبادة والطاعة أن يذكر نفسه بما عند الله من الخيرات وأن يترك ما سواها من الشواغل والملهيات.

---

[1] التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، 230/13

[2] تفسير ابن كثير ، 368/4

[3] انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، 99/12، تفسير أبي السعود ، 250/9

[4] ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- يستنبط من هذه الآية قاعدة شرعية وهي : (الوسائل لها أحكام المقاصد)**;**أي : أنه قد يمُنع من المباح إذا كان يفضي لترك واجب أو فعل محرم [1]

- قطع التجارة لأداء الصلاة ليس لتعطيل حركة الحياة وإنما ليحصل المسلم على الوقود الذي يجعل حركته وفق ما أراد الله وبالتالي يحصل على شحنة إيمانية تعينه في تجارته وإنتاجه .

- حرص على الصلاة والذكر لمقاومة طغيان المادة .

- تذكر الدار الآخرة وما فيها لكسر الاغترار بالدنيا والوقوف عندها فقط.

- دعوة المؤمنين إلى المحافظة على صلاة الجمعة والمبادرة إليها دون أن يشغلهم عنها شاغل.

- وهذه الآية تدل على وجوب حضور الخطبة في صلاة الجمعة إذ لم يقل : وتركوا الصلاة .

---

[1] القواعد الحسان للسعدي، 138، القاعدة رقم 65

الخاتمة:

وفي ختام هذه الرحلة المباركة في رحاب سورة الجمعة حول أسرار تذييل الآيات فيها، أقدم أهم النتائج والتوصيات التي أراها:

النتائج:

- غنى الآيات القرآنية بالتذييل واشتماله على حكم وأسرار.
- بلاغة التذييل البلاغية دلالته على عظمة القرآن وبيانه بما لا يدع مجالا للشك عند منصف في كون القرآن كلام الله رب العالمين.
- تناسب التذييل مع الجملة السابقة عليه تناسبا راقيا يجعل السابق يمهد للاحق واللاحق يؤكد على السابق في اتساق.

التوصيات:

- أن التذييل لون من ألوان البلاغةفي القرآن الكريم يحمل أسراراً وحكماً تحتاج إلى دراسات متواصلة ؛ لتبرز عظمة القرآن وروعته في هذا الجانب من جوانب البيان القرآني، وليزداد جمالاً على جمال.
- وضع مشروع يلبي حاجة الأمة من القرآن وإظهار جوانب العظمة فيه تتبناه مؤسسة رسمية، لتنهض روعة القرآن على منهجية ثابتة وجهد موفور.